الفصل الأول

النبي موسى عليه السلام
من الولادة إلى الشباب
والهروب إلى مدين

obeikandl.com

obeikandl.com

بنو إسرائيل بعد يوسف عليه السلام

تورد التوراة ـ في بدء سفر الخروج باختصار شديد ـ حديثاً عن بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع أبيهم يعقوب.

فتقول: «**وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب جاء كل إنسان وبيتُه، رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويسّاكر، وزبولون، وبنيامين، ودان، ونفتالي، وحاد، وأشير، وكانت جميع الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر، ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً، وامتلأت الأرض منهم.**

ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلمَّ نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا فاختشوا من بني إسرائيل فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل». سفر الخروج: 1 ـ 14.

قبل أن نتابع في قراءة النص التوراتي نتوقف مع هذا النص الذي أوردناه لكي نتبيّن بعض الحقائق، ونرد على الأوهام التوراتية.

في بضعة سطور تقول التوراة إن الذين دخلوا مصر أيام وجود يوسف عليه السلام فيها بلغوا سبعين شخصاً كلهم من صلب يعقوب، وتقول التوراة إنّ جميع ذلك الجيل مات في مصر.

أما بنو إسرائيل من الأولاد والأحفاد وأحفاد الأحفاء فقد كثروا جداً في أرض مصر، وامتلأت بهم الأرض.

ثم تقول: إنّ الملك المصري قال إن بني إسرائيل شعب أكثر منا أي أكثر من المصريين وقوله أكثر منا ـ توحي أن إسرائيل أصبحوا أكثر من المصريين.

فكيف يصح هذا؟ هل المصريون لا يتوالدون؟ أم أن بني إسرائيل جلبوا إليهم غيرهم حتى صاروا أكثر عدداً.

ثم إذا كانوا أكثر من المصريين كيف استطاع المصريون أن يستعبدوهم ويسخروهم، ألا يستطيعون المقاومة؟.

بالطبع هذا الكلام غير صحيح لأن بني إسرائيل لم يصبحوا أكثر من المصريين ولا في أي زمن من الأزمان.

ثم تقول التوراة إذا حدثت حرب أنهم ينضمّون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فأي أعداء هؤلاء الذين حذر منهم الفراعنة؟.

أما حقيقة الحدث التاريخ فهي حسب المصادر تقول:

إن النبي يوسف عليه السلام عندما كان في مصر كان يخدم الملوك الهكسوس الذين احتلوا شمال مصر وانكفأ الفراعنة إلى الجنوب. وعندما استطاع الفراعنة طرد الهكسوس راحوا ينتقمون من بني إسرائيل لأنهم اعتبروهم متعاونين مع الهكسوس، وبهذا المعنى يرى الفراعنة أن بني إسرائيل لعبوا دوراً سلبياً في حياة المصريين، وراحوا ينتقمون منهم لا بسبب خوفهم من وَهْمِ كثرتهم إنما انتقاماً منهم لدورهم.

وفي الفقرات من 15 ـ 22 حديث عن أمر الفرعون للقابلات اللواتي يعملن لتوليد نساء بني إسرائيل بأن يخبرن عن أي مولود ذكر حتى يطرح في النهر. وتتحدث هذه الفقرات عن إخفاء حالات كثيرة من الولادات حتى نما الإسرائيليون وكثروا جداً.

وقد ورد ذلك بشكل عام في القرآن الكريم حيث تحدثت الآيات عن قصة قتل الفرعون للأولاد الذكور من بني إسرائيل.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية: 49).

عند ذلك ينتهي الإصحاح الأول من سفر الخروج ليبدأ الإصحاح الثاني الذي يبدأ الحديث عن النبي موسى عليه السلام.

يقول الإصحاح الثاني: «**وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابناً، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعدُ أخذت له سفطاً من البردي وطلته بالحُمرِ والزفت، ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به.**

فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد، وإذا هو صبي يبكي فرقّت له وقالت: هذا من أولاد العبرانيين فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون اذهبي، فذهبت الفتاة ودعت أم الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولدوأرضعيه لي وأنا أعطيك أجرتك فأخذت المرأة الولد وأرضعته، ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً، ودعت اسمه موسى، وقالت: إني انتشلته من الماء» (الإصحاح الثاني: 1 ـ 10).

إلى هنا يكتفي كتاب التوراة بالحديث عن موسى الطفل، وهو حدث عادي ليس له أي معنى أو اختصار شديد لقصة طويلة، فحبلت وولدت وخبأته، ووضعته في سفط والتقطته ابنة فرعون وتبنته ثم تخرج أخته فجأة وتحضر له مرضعة (وهي أمه ثم يكبر ويُعاد إلى ابنة فرعون فيصير لها ابناً وتسميه موسى).

وهنا نتوقف عند النص القرآني لنقارن الحدثين المفترقين وما دار حولهما من أمور.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (سورة طه: 37 ـ 40).

ويقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة القصص: 7 ـ 13).

فقصة ولادة موسى وإرضاعه وإلقائه في اليم أي نهر النيل ثم إعادته إلى أمه لترضعه ويتربى في حضنها وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

ومن الواضح أن هناك فروقاً شاسعة بين رواية التوراة وكلام الله في القرآن الكريم، وهناك في النص القرآني أمور أخرى لابد من مناقشتها.

إن النص التوراتي يفتقد تماماً إلى العنصر الآخر أي العنصر الغيبي، يفتقد للتدخل الإلهي في القصة كلها.

ولنسر مع النص التوراتي جزءاً جزءاً. أولاً لا ندري ما هي شخصية أم موسى عليه السلام، فهي امرأة عادية من سبط لاوي ـ حسب قول التوراة ـ تزوجت وحملت وولدت، وهذا الولد عادي جداً ليس لله أي علاقة باصطفائه وليس لله أي علاقة بنجاته، وإكرام أمه بعودته إليها، والسؤال المطروح هنا كيف تتجرأ أم أن تلقي بابنها في النهر، وهو موجود في سفط من البردي؟، ثم كيف استمر صبرها بعد أن ألقته في الماء؟ ماذا يمكن أن يكون شعورها وتصرفها الانفعالي حيال ولدها الذي أُلقي في النهر؟.

أربعة أسطر من الإصحاح الثاني تختصر زمناً طويلاً وأحداثاً تحتاج إلى ترتيب وتفكير، لكن التوراة التي ألفها عزرا الكاتب عبارة عن روايات مختصرة، حفظها بعض كهنة بني إسرائيل الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم فلم يعرفوا أن الله سبحانه تدخل في ولادة موسى عليه السلام وحياته ورحلاته وكتابه وموته. أو أنهم لا يعرفون بالتحديد كيف ولدت أم موسى ولدها وكيف جرى ما جرى من أحداث معه.

لننظر إلى النص القرآني ماذا يقول:

تبدأ القصة بوحي من الله لأم موسى أن أرضعيه، وكان من المفترض حسب فهمنا للنص الإلهي ولأمره أن أم موسى أرادت أن تفعل شيئاً بابنها مع بدء ولادته خوفاً من فرعون الذي أمر بقتل أطفال بني إسرائيل، لكن الله سبحانه أوحى لها أن لا تفعلي أي سوء للطفل بل أرضعيه مطمئنة، فإذا خفت عليه أن يؤخذ منك ويقتل فألقيه في اليم، فلنتصور على المستوى البشري التناقض بين الخوف عليه والتخلص من هذا الخوف بإلقائه في اليم.

ومرة أخرى فعلى المستوى البشري من المفترض أن نقول لأم موسى إذا خفت عليه فاخفيه في أي مكان غير مكشوف، ولا يمكن أن نقول لها إذا خفت عليه من النار فألقيه في اللهب.

ولكنْ على المستوى الإلهي تصبح المتناقضات متوافقات. الله سبحانه يوحي لها، ووحي الله ليس كمثله شيء، فهو الله سبحانه الذي يدبر الأمر بيده، وأمره نافذ لو عارضت المخلوقات كلها، والله سبحانه له مخططه في علمه المسبق وهذا المخطط لا دخل للبشر فيه.

لقد أوحى لها وهو يعرف أن أم موسى عليه السلام مؤمنة ويقينها بالله قوي وقد نفذت أمر الله فوضعته في تابوت ـ صندوق ـ وألقته في اليم، وما كادت تفعل حتى اشتعلت النار في قلبها ووجدانها، لكن الله سبحانه طمأنها زيادة في الاطمئنان والثقة، ولا تخافي ولا تحزني سنرده إليك وسنجعله من المرسلين، طمأنها وبشرها بأنه بعد أربعين سنة سيكون موسى عليه السلام نبياً مرسلاً، فما هذه البشرى التي تمتد عبر الزمن أربعين سنة؟.

وزاد في ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة القصص: 10).

وعلى الرغم من الاطمئنان ظلت نار الأمومة تشتعل في قلبها وجسدها وكادت أن تصرخ وتنادي: ولدي... ولدي، ولكن الله ربط على قلبها فسكنت وهكذا أراد لها الله أن تكون من المؤمنين الموقنين.

ألقته في اليم وصبرت، حتى التقطه آل فرعون وهم لا يعرفون شيئاً عن المستقبل لأنهم لا يعرفون ولا يعلمون الغيب، وهذا الغيب يقول: سيكون موسى عليه السلام عدواً لفرعون ويكون فرعون عدواً لله ولموسى عليه السلام بل سيكون ألماً وحزناً عليهم لأنه سيكون الشاهد على مأساة فرعون الكبرى وهي غرقه وجنوده.

في النص التوراتي نرى أن بنت فرعون تتبنى موسى عليه السلام بينما النص القرآني يقول: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ (سورة القصص: 9). بمعنى أن الذي تبناه ليس ابنة فرعون إنما زوجته، والأمر المنطقي أن امرأة فرعون لم يكن لها أولاد. ففرحت به عسى أن يكون ولداً لها بالتبني. أما رواية التوراة فهي مخالفة للمنطق والعقل فكيف تتبنى ابنة فرعون ولداً وهي لا تعرف معنى الأمومة. ما معنى أن تتبنى البنت طفلاً ليكون ولداً لها قبل أن تتزوج وتعرف هذه المعاني.

أما بالنسبة لدور أخته فهو الترقب والمراقبة وهذا ورد في التوراة وورد في القرآن الكريم، ولكن الاختلاف في قوله تعالى فحرمنا عليه المراضع من قبلُ، وهذا يعني أن امرأة فرعون جلبت من يرضع موسى عليه السلام فأبى، فكيف أبى وهو ما يزال طفلاً، والطفل لا يعي شيئاً ولا يدرك ولا يفهم سوى إشباع جوعه، لكنّ الله سبحانه ينفذ وعده، ويرتب الأحداث كلها بعنايته، فقد زرع في غريزة هذا الطفل أن يرفض أي امرأة تريد إرضاعه حتى يأتي دور أمه، وهنا وبعد أن عجزت امرأة فرعون في إيجاد من يرضعه جاءت أخته وقالت أنا أدلكم على من ترضعه. وهنا يأتي دور أمه وما كادت تضع ثديها في فمه حتى يبدأ بالرضاعة ويهدأ، فهو يرضع حليباً ممزوجاً بحنان الأم ورحمتها وشفقتها وحبها حتى ينمو بشكل صحيح لا

شائبة فيه، فهو منذ البدء مهيأ كي يتربى جسدياً وعاطفياً بشكل صحيح، ليكـون في المستقبل ذلك النبي المرسل صاحب الكتاب الأول من الكتب السماوية.

لقد رُدَّ موسى عليه السلام إلى أمه لأسباب أرادها الله ولغايـات حـددها. ردّه إليهـا لتقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق، ذلك الوعد الذي وعدها به عن طريق الوحي.

ولكن أكثرهم لا يعلمون، نعم لأن الذين كتبوا التوراة لا يعلمون مـا الـذي حدث، لذلك كتبوا ما هو ناقص جداً عن موسى عليه السلام وأمه وقـصته الأولى مـع آل فرعون.

obeikandl.com

افتراضات وتعقيبات

1 ـ هناك إجماع على أن موسى عليه السلام تربّى في قصر فرعون، ولاشك أن من يتربّى في أسرة سنوات طوال لابد أن يتمثل عاداتها ويتعلم لغتها، فلغة موسى عليه السلام التي تعلمها هي اللغة المصرية. كذلك كان أبناء قومه من بني إسرائيل ولم يثبت قطعياً أن ما يسمى اللغة العبرية كانت موجودة آنذاك.

2 ـ طالما أن أمه أرضعته حتى فطم، فقد كانت تعرف تماماً تطورات حياته خاصة أن مدة رضاعته منحت أمه القرب من زوجة فرعون، وهذا القرب مستمر لترعى لها الصبي موسى عليه السلام.

3 ـ كان فرعون وزوجته والحاشية يعرفون أن هذا الولد هو من بني إسرائيل وليس مصرياً، وكذلك أهل موسى عليه السلام يعرفون أنه ابنهم وليس ابن فرعون أو زوجته.

4 ـ يشير القرآن الكريم إلى أنّ امرأة فرعون كانت مؤمنة موحدة، ويقول تعالى في ذلك: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة التحريم: 11).

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل امرأة فرعون هي التي ربّت موسى عليه السلام أمْ المقصود امرأة فرعون آخر؟.

والواقع أن غالبية المفسرين يقولون إن امرأة فرعون هي نفسها التي ربّت موسى عليه السلام، ويقولون أن اسمها آسيا بنت مزاحم.

موسى عليه السلام مرحلة جديدة/محطة ثانية

تقول التوراة: «وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أن ليس أحد فقتل المصري، وطمره في الرمل، ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك؟ فقال من جعلك رئيساً وقاضياً علينا أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري، فخاف موسى وقال حقاً قد عُرِف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر». (الخروج: الإصحاح الثاني: 11 ـ 15).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (سورة القصص: 14 ـ 22).

نعتقد أن الإطار العام في القصد واحد. ولكنّ في القرآن أموراً لم تذكرها التوراة، منها أن موسى عليه السلام وكزَ المشرك فقتله، والوكز ليس بالضرب القاتل، ولكن إرادة الله نفذت الأمر. لذلك تعجب موسى عليه السلام من هذا الذي جرى،

فاستغفر ربه، وقد أخبره رجل إن آل فرعون يتآمرون كي يقتلوه، فهرب من المدينة هائماً على وجهه وقال العديد من المفسرين إن موسى عليه السلام عندما وكز المشرك وقتله لم يكن قد كلف بالرسالة ولم يكن قد بُعث بالنبوة، وعلى الأرجح أن موسى عليه السلام في ذلك الوقت كان شاباً لم يبلغ الثلاثين من عمره، وقد علمه سبحانه وتعالى الحكمة وبعض العلوم.

وقد افترض بعض المفسرين أن موسى عليه السلام كان في الأربعين من عمره وأنه كُلف بالنبوة ولكن هذا القول بعيد عن واقع الأحداث وبعيد حتى عن طبيعة شخصية النبي موسى عليه السلام وهو في مثل هذا الحدث الذي فيه قتل نفس وفيه هروب، الهروب إلى مدين.

أين هي مدين؟ ومن كان يسكنها؟، وكيف توجه موسى عليه السلام إليها؟.

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر، ويُقال أنهم كانوا برفقة الإسماعيليين لما بِيعَ يوسف عليه السلام، وكان الإسماعيليون من سكان مديان وسكن موسى عليه السلام مدة في مديان، والمنطقة التي تقع شرقي خليج العقبة تسمى الآن مديان.

وقد ورد في التوراة في سفر التكوين أن النبي إبراهيم كان قد تزوج بعد سارة وهاجر امرأة كنعانية اسمها قطورة وأنجبت له ستة أولاد.

تقول التوراة: «**وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زِمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوقا**». تكوين 25: 1 ـ 2.

هؤلاء الأبناء انتشروا في مناطق الأردن وشبه الجزيرة العربية، ومديان سكن قريباً من خليج العقبة أو شرقيّها، وأنجب وكثر نسله وسُميت المنطقة باسمه ـ مديان ـ أو مديَن. وعندما ننظر إلى قصة النبي شعيب ندرك أنه كان في مدين، وهذا ما جاء في القرآن الكريم، وشعيب نبي مرسل ظهر بعد لوط وقومه، بمعنى أن شعيباً ابن المنطقة، وتدل دراسة حياة الأنبياء أن شعيباً هو ابن مديان أو حفيده. ويعود إلى إبراهيم عليه السلام. حيث من المحتمل أن يكون جدَّه أو والد جده.

وما بين ظهور النبي موسى عليه السلام وبين إبراهيم عليه السلام حسب التقديرات الأولية حوالي 650 ـ 700 سنة.

وما بين إبراهيم وشعيب لا يتجاوز المئة والخمسين سنة، إذ أن شعيباً يشير إلى ما حلَّ بأقرب شعب إليه وهم قوم لوط، وعلى هذا لا يمكن أن يكون شعيب قد عاصر موسى عليه السلام وصاهره.

ولكن المؤكد أنه بعد أن عاقب الله قوم شعيب بقيت بقية صالحة من قومه ونسله، وهذه البقية ظلت في مدين وأطرافها وجلّهم من رعاة الأغنام، وعندما قدم موسى عليه السلام إلى مديان أو مدين وجد الرعاة يسقون أغنامهم ومن بينهم فتاتان لشيخ صالح كان يسكن في مدين وليس له أولاد بل له بنات.

والمديانيون قبائل انتشرت شرقي الأردن وكانت لهم علاقات قوية مع أولاد عمومتهم من بني إسرائيل وجميعهم ينتسبون إلى العرب المستعربة.

تقول التوراة: «**وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر**». (الخروج: الإصحاح الثاني: 15).

وتقول: **وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتينَ واستقينَ وملأنَ الأجران ليسقينَ غنم أبيهنّ فأتى الرعاة فطردوهنّ فنهض موسى وأنجدهنّ وسقى غنمهنّ فلما أتينَ إلى رعوئيل أبيهن قال ما بالكنّ أسرعتنّ في المجيء اليوم. فقلن: رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتنّ الرجل؟ ادعونّه ليأكل طعاماً، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة، وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات، وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله**». (الخروج: الإصحاح الثاني: 16 ـ 25).

ويقول تعالى في قرآنه الكريم: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ

وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (سورة القصص: 23 ـ 28).

ومن الواضح أن هناك اختلافاً بين رواية التوراة وما جاء في القرآن الكريم.

1 ـ كاهن مديان له سبع بنات في التوراة، وله بنتان في القرآن.

2 ـ اسم كاهن مديان رعوئيل في التوراة، ولم يرد اسمه في القرآن الكريم.

3 ـ كاهن مديان رجل عادي في التوراة، وفي القرآن هو شيخ صالح.

4 ـ في القرآن عهد بين موسى عليه السلام والرجل الشيخ على تزويجه ابنته مقابل 8 ـ 10 سنوات وهذا لم يرد في التوراة.

5 ـ تلد له زوجته صفورة ابناً، لكن ذلك لم يرد في القرآن.

بعد هذه الإطلالة لابد أن نتوقف عند العديد من الأسئلة:

1 ـ ما المسافة الفاصلة بين أرض جاسا المصرية التي كان يسكن فيها بنو إسرائيل وبين أرض مدين.

2 ـ من أي الطرق ذهب موسى عليه السلام للوصول إلى مدين؟ هل طريق خليج السويس باتجاه الجنوب، ثم ذهب في خليج العقبة حتى وصل مدين، أم أنه اتخذ الطريق البري الصحراوي؟.

3 ـ لماذا كانت مدين المنطقة التي اختيرت لتكون ملجأ لموسى عليه السلام؟ وهل تمَّ ذلك باختيار من قبل موسى عليه السلام أم لله يد في هذا الاختيار؟.

4 ـ أهل مديان من العرب ولغتهم العربية، وموسى عليه السلام مكث عندهم عشر سنوات وتزوج منهم امرأة عربية وأنجب منها، فهل أصبحت لغته العربية؟

وهل نسي لغة المصريين؟، وهل لهذا علاقة باختيار موسى لأخيه هاورن كي يتحدث عند فرعون لأنه أفصح منه؟.

5 ـ هل تعلّم موسى عليه السلام شيئاً من العقيدة عن طريق صهره الشيخ؟ وإذا ثبت ذلك فهل لهذا علاقة بتمهيد موسى عليه السلام وتربيته لكي يتلقى الرسالة؟.

6 ـ ما الإشارات الدالة على أن الشيخ رجل صالح؟ وهل أصاب المفسرون بقولهم: إنه هو النبي شعيب عليه السلام أم أنهم أخطأوا في ذلك؟.

س1+2: عندما ننظر إلى الخريطة التي تحدد مواقع بني إسرائيل في جاسان وكذلك صحراء سيناء وخليج السويس ثم خليج العقبة قرب مدين، نرى أن النبي موسى عليه السلام سلك أحد الطريقين للوصول إلى مدين، إما أنه ركب سفينة من خليج السويس ونزل جنوباً ثم دخل خليج العقبة وهناك نزل إلى مدين، أو أنه سلك طريقاً صحراوياً عبر سيناء حتى وصل إلى شمال خليج العقبة، ومن هناك ذهب إلى أرض مدين.

إن المسافة الفاصلة بين المنطقتين طويلة وشاقة وتصل إلى حدود 250 ك.م، وهي منطقة وعرة جداً، ويبدو أن موسى عليه السلام أراد أن يهرب من وجه فرعون وجنوده الذين يلاحقونه أينما وُجد، لكنه اختار منطقة بعيدة جداً عن أرض الفراعنة حيث يأمن على نفسه من بطشهم ونعتقد أن إرادة الله تدخلت في ذلك، حيث اختار موسى عليه السلام الطريق الصحراوي الذي سيكون مستقبلاً الطريق الذي يسير فيه بنو إسرائيل، فموسى عليه السلام بعد رحلته أصبح يعرف شيئاً عن المنطقة ومداخلها وجبالها ووديانها، وعندما يحدث الخروج سيقودهم موسى عليه السلام عبر هذه الصحراء، وستكون الصحراء مسرح الأحداث القادمة والتي ستستمر عشرات السنين إضافة إلى تلقي الرسالة هناك.

س3: لماذا كانت مدين المنطقة التي اختيرت لتكون ملجأ للنبي موسى عليه السلام، على الرغم من وجود مناطق أخرى في شمال سيناء أو جنوبها مسكونة من قبل البشر؟.

من المؤكد أن مدين منطقة عربية يسكنها شعب عربي موزع على قبائل صغيرة يجمعها اسم واحد وهو اسم المديانيين، ومن المؤكد أن أول نبي ارتبط بهذه المنطقة هو شعيب عليه السلام. ومن تبقى من قوم شعيب عليه السلام ظلوا يسكنون في جوانب المنطقة

ومنهم أناس صالحون ظلوا على عقيدة التوحيد، كالرجل الشيخ الذي زوّج ابنته من موسى عليه السلام، ومديان من الناحية الجغرافية بعيدة عن متناول الفراعنة، فهي في أرض ليست من مناطق نفوذهم ولا سلطة لهم عليها بينما العديد من مناطق سيناء كانت خاضعة للفراعنة وجيوشهم متواجدة فيها وهي خطر على النبي موسى عليه السلام الذي أراد الله له أن يكمل رحلته ورسالته.

س4: بعد مكوث النبي موسى عليه السلام في مدين عشر سنوات هل تعلّم العربية وأصبحت لغته ونسي أكثر مفردات اللغة التي كان يتكلم بها عند المصريين؟.

من المؤكد أنه لا وجود للغة عبرانية آنذاك، ومن المفترض أن يعقوب عليه السلام عندما ترك أرض كنعان هو وأولاده كان يتكلم لغة كنعان وهي جزء قديم من اللغة العربية، وعندما استقروا في منطقة جاسان قرب النيل ظلوا محافظين على لغتهم الكنعانية التي كانوا يتحدثون بها ومن الممكن أنهم تعلموا اللهجة المصرية خلال وجودهم الذي دام حوالي 231 سنة، وعندما ظهر النبي موسى عليه السلام كان قد تعلم لغتين، أو لهجتين، لهجة قومه وهي لهجة أهل كنعان، ولهجة المصريين، وعندما جاء إلى مدين قويت لغته الأصلية، وتعلم لهجة أهل مدين، وهي لهجة ليست بعيدة عن لهجة أهل كنعان، بمعنى أن اللغة التي صارت ملك لسان موسى عليه السلام هي اللغة العربية المديانية الكنعانية، وعشر سنوات كفيلة للنبي موسى عليه السلام أن يتكلم بلغة أهل مدين وهي العربية.

س5 + 6: من هو الشيخ الذي التقى به النبي موسى عليه السلام في مديان وهل تعلم منه شيئاً من العقيدة؟ ولماذا اختاره ليكون زوجاً لابنته؟.

عند السؤال الخامس والسادس نتوقف قليلاً لنستوضح الكثير من الأشياء.

في التوراة يرد اسم صاحب مديان على أنه تارة رعوئيل وتارة يثرون.

فتقول في ذلك: «**فلما أتين إلى رعوئيل أبيهنَّ**»، وتقول في الإصحاح الثالث: «**وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان**».

ولا ندري أيهما اسمه، لكن قاموس الكتاب المقدس يقول: يثرون اسم مدياني معناه فضل، كاهن مديان وحمو موسى، ويدعى أيضاً رعوئيل أي صديق أو خليل ويظهر أن هذا الاسم كان اسمه الشخصي ويثرون لقب شرف أطلق عليه، ويرجح أن يثرون من نسل إبراهيم وقطورة[1].

أما في القرآن الكريم فقد ذُكرت مدين عشر مرات واقترنت بالحديث عن قوم شعيب عليه السلام، وعندما ندرس هذه الآيات نجد الكثير من المفاتيح التي توصلنا إلى حقائق جمة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 85 ـ 94).

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، باب الباء.

وفي سورة هود تتكرر القصة ولكنْ يضاف إليها أمر جدير بالاهتمام وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾(سورة هود: 89)، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ (سورة هود: 98).

وتكرر لحديث عن النبي شعيب عليه السلام وقومه في سورة العنكبوت، وذكروا في آيات أخرى، وسور أخرى.

وهنا نتوقف قليلاً عند ما ورد في القرآن الكريم عن قصة موسى عليه السلام ووجوده في مدين ولقائه مع والد الفتاتين.

يقول تعالى في سورة القصص: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة القصص: 23).

ويقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة القصص: 25).

ويقول تعالى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(سورة القصص: 27)، ويقول: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (سورة القصص: 28).

من خلال الآيات التي تحدثت عن شعيب عليه السلام وقومه نرى أن النبي شعيباً عليه السلام يتحدث عن الأقوام التي سبق وجودها وجود قومه، فاستشهد بما حل بقوم نوح ثم هود ثم صالح، ثم قال وما قوم لوط عنكم ببعيد.

وهذا الحديث يتساوق مع التسلسل التاريخي لوجود هذه الأقوام، لكن الملفت للنظر أن قوم لوط على المستوى الجغرافي وعلى المستوى التاريخي هم الأقرب لقوم شعيب، فقوم لوط كانوا في سدوم وعامورة وهي منطقة البحر الميت، وقريبة كثيراً من منطقة مديان التي تقع شرق خليج العقبة، ولا تفصل بين المنطقتين مسافة بعيدة، أما استشهاده بقوم لوط وقوله وما قوم لوط منكم ببعيد يدل على الحدث الذي أصاب قوم لوط لم يكن يبعد كثيراً في الزمن.

إن هذا يدلنا على أن قوم شعيب في مديان تواجدوا في المنطقة بعد قوم لوط مباشرة، وإذا أخذنا بقول قاموس الكتاب المقدس فإن شعيباً هو ابن مديان،

ومديان ابن النبي إبراهيم من زوجته قطورة، وهذا يعني أن شعيباً وُجد في المنطقة معاصراً ليعقوب وأولاده الذين ذهبوا إلى مصر واستقروا فيها.

وهذا يعني أن الشيخ الذي التقاه النبي موسى عليه السلام ليس النبي شعيباً، وعلى هذا يمكن أن نقول: إذا كان الزمن الفارق بين يوسف عليه السلام، وموسى عليه السلام حوالي 231 سنة فإن الفارق بين موسى عليه السلام، وشعيب عليه السلام لا يقل عن 250 ـ 300 سنة، ومن قال إن الشيخ هو شعيب ظن أن مدين هي الدليل على ذلك.

يقول ابن كثير: كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة، ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم[1].

وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصري أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب.

على أية حال لو كان صاحب موسى عليه السلام شعيباً لذُكر ذلك في القرآن الكريم، فشعيب نبي بصريح القرآن، بينما هذا الشيخ المدياني لم يصرح بنبوته، ولم يصرح بشيء عنه يدل على أنه رسول أو نبي أو من أتباع نبي معين.

وهناك بعض الآيات التي تشير إلى صلاح هذا الشيخ وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص: 25)، وقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة القصص: 27)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (سورة القصص: 28).

موسى يتزوج عربية من مديان:

تقول التوراة: «**فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت له ابناً فدعا اسمه جرشوم**».

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، المجلد الأول، ص171.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (سورة القصص: 27).

تتفق رواية التوراة مع القرآن الكريم في الإطار العام في قصة زواج النبي موسى عليه السلام بابنة شيخ مدين، والاختلافات تقع في طريقة الزواج وسببه.

في البداية تقول التوراة إن لكاهن مدين سبع بنات، والقرآن يقصُّ علينا أنهما ابنتان، وفي القرآن الكريم تفرّس الشيخ في موسى عليه السلام فوجده عفيفاً قوياً مؤمناً، فأراد تزويجه من ابنته، ويورد القرآن مسألة الأجر وهو العمل ثماني سنين وكنى عليها بقوله حجج ومفرده حجة، أي ثماني سنوات حسب التقويم القمري العربي.

وقوله حجج يدل على أن مفردة حجة التي تستخدم في العربية كانت معروفة كمصطلح يدل على الحج إلى البيت الحرام، وباعتبار أن إبراهيم الذي سن هذا الفرض بأمر من ربه فإن أتباعه ولاسيما العرب اتبعوا سنته في تأدية هذه الفريضة، وهذا يعني أيضاً أن الشيخ كان يعرف معنى حجة وحجج، وأن موسى عليه السلام كان يعرف ذلك أيضاً، لذلك لم تورد التوراة هذا الأمر لأنها تنكر وتخفي كما يخفي اليهود قصة الحقيقة حول النبي إبراهيم وبنائه الكعبة وفرض الحج على الناس.

ويمكن في هذا الإطار أن نسأل السؤال التالي: مديان قريبة نسبياً من قلب الحجاز ومكة وأهل المنطقة من المؤمنين يعرفون الحج كفرض من أيام النبي إبراهيم، وموسى مكث عشر سنوات في مديان، فهل من الممكن أن نفترض أن موسى قد ذهب إلى البيت الحرام ليحج وهي فريضة ارتباط بجده الأول إبراهيم عليه السلام؟. نعتقد أن الأنبياء جميعاً حجّوا إلى البيت الحرام لأن غالبيتهم من أبناء وأحفاد إبراهيم وهم أولى الناس باتباع سنته وملّته والطريق الذي رسمه.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أن زوجة موسى عربية وليست من بني إسرائيل، وأن أولاده منها تربّوا في بيئة عربية، والتشريع اليهودي يقول: (اليهودي من كانت أمه يهودية) لذلك نقول: إن أولاد موسى عليه السلام ليسوا من بني إسرائيل وليسوا يهوداً.